هيس بدلاً من المذياع

كان موضوع الصلح بين ألمانيا وبريطانيا قد غدا ضمن أهم أولويات اهتمام « هتلر وهيس هوشوفير » بعد عرض هتلر الصلح ضمن خطابه فى الرايشستاخ ، وبعد رفض المستر تشرشل لعرض هتلر ضمن خطاب أذاعه من مجلس العموم البريطانيى فى نفس اليوم فى حرب إذاعة على موجات الأثير .

وعقب الاستماع إلى ترجمة فورية لخطاب تشرشل فى مجلس العموم البريطانى ، وبعد أن وصلت إلى أسماع « هتلر وهيس هوشوفير » ترجمة الفقرة التى ضمنها المستر تشرشل رفضه لعرض الصلح الذى كان هتلر قد عرضه ضمن خطابه . استشاط هتلر غضباً وصرخ قائلاً : ''إن تشرشل قطعاً لا يتحدث باسم الشعب البريطانى الذى يذوق ويلات الحرب ويئن ويتوجع تحت قنابل طائراتنا . إننى أشم رائحة اليهود وراء تشرشل !! لو تم صلح بين ألمانيا وانجلترا يستحيل أن يتم هذا الصلح لو بقى تشرشل فى الحكومة البريطانية ، إنه تحت تأثير اليهود دون ريب . ماذا يفعل اليهود الآن بالعالم ؟ إنهم وراء كل شرور العالم ؟

قال البروفيسور « هوشوفير» : ياسيدى الفوهرر . إن مثل هذه الأمور التى تؤثر فى سياسة العالم يستحيل أن تؤخذ ببساطة أو على عجل . إنها تحتاج صبراً ، وتحتاج تجديد محاولات إثر محاولات . قد تفشل المحاولة الثانية ، وتنجح المحاولة الرابعة .. إننى ياسيدى الفوهرر أقترح اقتراحاً محدداً أرجو أن يكون ممكناً : إن ابنى الدكتور « كارل هوشوفير » موجود الآن فى إسبانيا . إنه صديق حميم للدوق ''هاميلتون'' ، ودوق ''هاميلتون'' هذا بدوره صديق حميم للمستر تشرشل ، وهو يتناول العشاء كثيراً مع المستر تشرشل .

أنا ـ ياسيدى الفوهرر ـ أقترح استدعاء ابنى « كارل هوشوفير » وتكليفه بالسفر إلى اسكتلندا لمقابلة دوق هاميلتون ليعرض الصلح رسمياً على بريطانيا . إن هذه الطريق يحتمل أن تنجح بأفضل مما نجحت الدعوة إلى السلم من خلال إذاعة الخطب المتضمنة لعروض السلام يسمعها العالم كله مما يفقدها ميزة المرونة والأخذ والعطاء وهى ميزة ضرورية لتحقيق اتفاق بين أطراف الصدام فيما يتعلق بالمصالح الحيوية ذات الأهمية .

قال هتلر : يابروفيسور ... إن انجلترا لن تقبل الصلح من مواطن عادى ليست له صلاحيات وليست له صفة رسمية مثل ابنك الدكتور كارل هوشوفير . انجلترا لن تقبل الصلح إلا إذا عرضه عليها شخص له صفة رسمية تثق به انجلترا ثقة عمياء .

قال هوشوفير : أنا معك . معك حق ياسيدى الفوهرر . فى غمار حماسى لإنجاز هدفنا اقترحت سفر ابنى . ولقد أصبت الحقيقة فعلاً ياسيدى الفوهرر . لابد من سفر شخص يثق به الإنجليز بحيث يتأكد لهم تماماً أنه يتحدث باسم زعيم ألمانيا الفوهرر هتلر دون أى شك . نعم .. إن هذه هى الطريقة الإنجليزية فى التفكير . إن الإنجليز لا يقبلون بأى معلومة دون إمكانية التثبت من صحتها ، ولا يقبلونها إلا بعد التثبت الفعلى من صحتها . إن هذه هى طريقتهم فى التفكير فعلاً . لابد أن تتوافر فيمن توفده ألمانيا لعرض الصلح على الإنجليز كامل الصلاحيات وسلطات التفاوض باسم الدولة الألمانية .. من الذى ترشحه للقيام بهذه المهمة ياسيدى الفوهرر ؟

هز هتلر رأسه وقال : حتى الآن لا أعرف .

ثم وقف هتلر . وكان وقوفه يعنى رغبته فى فض الاجتماع . وانفض الاجتماع بالفعل . خرج هوشوفير وهيس من الاجتماع مع هتلر قرب منتصف الليل . وسأل هيس وهو يدير سيارته المرسيدس :

ـــ ما الحل ؟

ولم يكن ثمة حل . وافترق الرجلان عندما وصل البروفيسور إلى منزله ، ونزل من السيارة ، ليواصل هيس رحلة العودة إلى منزله . وجعل هيس يفكر

ويبحث عن حل للمشكلة التى تخيل هيس أنها أكبر وأهم مشكلة فى العالم كله . وطوال الليل ظل هيس مستيقظاً يفكر فى حل للمشكلة . تسلطت المشكلة تماماً على فكر هيس .

قال هيس أخيراً لنفسه : من الذى له حق تمثيل هتلر من الناحية القانونية البحتة ؟ وأجاب هيس على السؤال متمتماً لنفسه : لابد أن يكون أحد نواب هتلر . قال هيس لنفسه : حسناً . لقد وجدتها . لقد وجدتها . إن الشخص الذى يستطيع التفاوض مع الإنجليز من أجل إقناعهم بعقد صلح بين الإنجليز والألمان يلزم أن يكون أحد نواب هتلر. ومن هم نواب هتلر ؟ عندئذ هتف هيس قائلاً لنفسه : جورنج أو أنا !

وفى الصباح الباكر اتصل هيس هاتفياً بأستاذه البروفيسور هوشوفير ليعرض عليه ما توصل إليه من قرار ، وليسأل البروفيسور : ما رأيك جورنج أم أنا ؟ وكيف نقنع جورنج بالمهمة التى تحدثنا بشأنها مع الفوهرر ؟ هل يستطيع جورنج أن يطير بالرغم من تقدم سنه وزيادة وزنه ليقوم بهذه المهمة الخطيرة مع أن جورنج هو قائد سلاح الطيران الألمانى الذى يدك بريطانيا كل يوم ؟

وقال هوشوفير : أنت ياهيس . وحتى لا يتسع نطاق الأشخاص االمطلعين على موضوعنا الخطير ! عليك أن تعد وتجهز ما يلزم للطيران إلى استكتلندا على وجه التحديد .

إن اسكتلندا تقع جهة الشمال من انجلترا .. وهى بعيدة عن تركيز الغارات الألمانية ، والأسلحة المضادة للطائرات بها قليلة بطبيعة الحال .. وهناك ستجد دوق هاملتون .. وتستطيع أن تتأكد من وجوده بما لديك من وسائل اتصال .

سأل هيس : هل أقوم بهذه الخطوة دون إخطار الفوهرر .

قال هوشوفير: لا . لابد أن يكون ذلك بعلمه وبموافقته .. وإلا ، فما هى الجدوى من مثل هذه الرحلة الخطيرة . أنت نائبه رسمياً .. وستتحدث باسمه ... وستفاوض الإنجليز باعتبار أنك تمثله .. ولابد من موافقته بطبيعة

الحال .

قال هيس : وإن لم يقتنع هو ولم يوافق ؟

أجاب هوشوفير بالعكس سيقتنع الفوهرر عندما تستعد أنت تماماً للرحلة من كل الوجوه ياهيس ! ألم تلاحظ أنه كان قد وافق على المبدأ من حيث فكرتنا الرئيسية ولكن سؤاله إنما كان يتعلق بالكيفية؟ ألم يقل الفوهرر بالحرف الواحد : « أنا مقتنع تماماً ... ولكن ... كيف ..؟ » ، قال هيس : اتضحت الرؤية إذًا ، وتم حسم المسألة : أنا ، وليس جورنج .

هيس يستعد للرحلة البائسة

هيس أثناء قيامه بالتدريب على الطائرة شميدت

أخذ هيس يقلب أمور مهمته التى أخذها على عاتقه من تلقاء نفسه ، وما أكثر المهام التى أخذها على عاتقه من تلقاء نفسه فى تاريخ الحزب النازى ، وصادفها النجاح ، وكان الفوهرر يغتبط لنجاح مبادراته أيما اغتباط .

إن هيس حقيقة طيار قديم ، ولكنه لم يمارس الطيران منذ ١٩ سنة . ولابد أن يتدرب من جديد على قيادة الطائرات الحديثة .

وعندما فاتح هيس قائد السلاح الجوى الألمانى ''إرنست يوديت'' بشأن

رغبته فى معاودة الطيران صارحه يوديت بأن مطلبه قد أصبح مستحيلاً لسبب بسيط وهو أنه نائب الفوهرر ولا يسمح له بالطيران بدون موافقة كتابية من هتلر .

وتذكر هيس حقيقة الأمر الذى كان قد أصدره هتلر بهذا الخصوص وصاح قائلاً : نعم أنا نائب الفوهرر . وأنا أتذكر أن الفوهرر كان قد أصدر هذا الأمر . وقد ناقشت الفوهرر بشأنه فور صدوره وأخبرته عن شدة حبى للطيران .

زوجة هيس « ألزا » تتمنى له التوفيق فى أحد سباقات الطيران والتى فاز بها .

وأنت تعرف ياأوديت أن الفوهرر قد ضحك وقال : إذا ، ونظراً لحبك للطيران ياهيس ، ونظراً لحبى لك ، لن يسرى عليك هذا الأمر ياهيس ، إلا لمدة عام واحد ، تستطيع بعده أن تطير بأى طائرة عسكرية ألمانية فى أى وقت وفى أى مكان . ألا تذكر ذلك ياأوديت . إن جورنج لا يستطيع الطيران . وأستطيع أنا ــ رودلف هيس أن أطير !

وخرج هيس وهو يحدث نفسه قائلاً : ورغم ذلك أصر أوديت على أن آحصل على إذن كتابى من هتلر شخصيا يصرح بالطيران . وضحك أوديت وهو يقول لى : ياصديقى هيس . فى درج مكتبى يوجد أمر هتلر المستديم بمنع جميع نواب وقادة حزبنا من الطيران . وليس بدرج مكتبى ، ولم أسمع بأذنى ما يفيد السماح لسيادتك بالطيران بعد عام واحد من تاريخ الحظر . هات تصريحاً بالطيران من هتلر شخصياً ، تأخذ طيارة ومطاراً ويصاحبك مدرب للطيران . هايل هتلر .. الأوامر هى الأوامر ياصديقى .

صورة توضح الطائرة التى استقلها هيس إلى بريطانيا من طراز شميدت

كانت الفكرة قد اختمرت تماماً فى رأس « **رودلف هيس** » . حسناً . إن هتلر لم يعد يعيره اهتماماً كما كان عليه الحال قبل الحرب . لقد أصبح الفوهرر أكثر اهتماماً بجنرالات الحرب . إن أهميتهم عنده أصبحت تفوق رجل الحزب النازى الذى شارك فى بنائه طوبة فوق أخرى حتى اكتمل بناؤه واشتد بنيانه ووصل الفوهرر إلى قمة الدولة الألمانية . إن الفوهرر قد عَيَّن جورنج نائباً أول له ، و لم يكن جورنج قد جاهد فى سبيل الحزب مثل جهاد « **رودلف هيس** » . حسناً . إن هؤلاء الجنرالات يسخرون من هيس كما لو كان باقياً بينهم من رجال عهد مضى . سيثبت هيس للفوهرر ولكل جنرالات ألمانيا ولجورنج وغير جورنج أنه « **رودلف هيس** » ، رجل المهام الحاسمة فى تاريخ ألمانيا . سيقوم بالمهمة ويطير إلى إنجلترا ليحقق الصلح بين ألمانيا وإنجلترا ، وتتفرغ ألمانيا للهجوم على روسيا وسحقها لتتحقق مصالح ألمانيا وآمال هتلر فى عمل واحد ينجزه هيس .

سحقاً لك ياأوديت ! سأعمل على عزلك فيما بعد عندما أعود من مهمتى . ولن أتدرب على طائرة من طائراتك .

ذهب هيس فى اليوم التالى إلى ''فيلى ميسر شميدت'' صاحب أكبر مصنع للطائرات الحربية من طراز ''ميسر شميدت ١١٠'' .

وكان ''ميسر شميدت'' بحكم مهنته المدنية سهل الانقياد لطلبات نائب هتلر ، وخصوصاً عندما كان هيس قد اكتسب خبرة فى ضرورة الحذر والمداراة للوصول إلى هدفه .

قال هيس لميسر شميدت : أنا فى مهمة خاصة على جانب كبير من السرية والأهمية كلفنى بها الفوهرر وأوصانى بكتمان أمرها تماماً . وهذه المهمة ستتم بطائرة ـ من طائرات ميسر شميدت الحديثة ـ ذات مواصفات خاصة . وإنهال على ميسر شميدت بأسئلة كثيرة عن خواص وإمكانات وقدرات طائراته ، مما أربك فكر وعقل ميسر شميدت وقطع أنفاسه فى ملاحقة أسئلة هيس المتتالية .

وكان هيس قد بدأ دراسة متطلبات رحلته . وكان أول ما يهمه هو معرفة المسافة بين أحد مطارات ألمانيا والمكان الذى سينزل فيه باسكتلندا .

واكتشف هيس أن مدى أحدث الطائرات الألمانية لا يمكنه من الوصول إلى هدفه .

طلب هيس من ميسر شميدت معرفة حمولة الطائرة ، وهل يمكن ، وإلى أى مدى يؤثر تخفيف الحمولة فى توفير الوقود . وبحسابات معقدة اقترح ميسر شميدت إنه يمكن لواحدة من طائراته الوصول إلى المسافة التى طلب هيس أن تقطعها الطائرة دون معرفة وجهتها على وجه التحديد لو أمكن أن يطير بالطائرة طيار واحد ويتم تثبيت خزان إضافى للوقود بدلاً من مساعد الطيار .

وهكذا أمكن لهيس حل مشكلة الطائرة والتدريب على قيادتها ، إذ سمح له ميسر شميدت بذلك باعتبار أنه نائب هتلر ، وسيقوم بمهمة سرية خاصة كلفه بها الفوهرر .

بقيت مشكلة الخرائط المطلوبة للرحلة الجوية ، وتحديد المسارات الآمنة للطائرات فى سماء ألمانيا بالإضافة إلى المعلومات المتاحة عن سلامة الطيران فى أجواء اسكتلندا وطرق الاقتراب الأكثر أمناً بالأجواء الاسكتلندية . ولقد حصل هيس عليها من صديقه الطيار الخصوصى لهتلر .

واتصل هيس هاتفياً بأستاذه كارل هوشوفير يعلن إليه أنه قد أصبح مستعداً تماماً للقيام بالرحلة إلى اسكتلندا ، ليرد عليه البروفيسور هوشوفير بقوله : فلنقابل هتلر سوياً حتى أساعدك فى الحصول على موافقته .

وعلى الفور ، اتصل هيس هاتفياً بألبرت بورمان سكرتير هتلر الخاص ، وطلب تحديد موعد لمقابلة الفوهرر لأمر هام وعاجل . وتمت المقابلة بعد ساعة واحدة من طلبها .

سأل هتلر : لماذا أردت مقابلتى بهذه اللهفة يارودلف ؟

رد البرفيسور هوشوفير على سؤال هتلر بدلاً من هيس قائلاً : نريد أن نعرف ياسيدى الفوهرر ما إذا كنت لا تزال موافقاً على ضرورة الوصول إلى صلح مع بريطانيا قبل الهجوم على روسيا ؟

قال هتلر : أنت تعرف أننى أود ذلك . ولكننى أرى خطورة جسيمة فى إرسال شخص ألمانى كبير الرتبة فى الدولة ليتحدث باسمى فى عاصمة بريطانيا .

قال هوشوفير : إن التعقل سيفرض على بريطانيا أن تقابل ممثل هتلر وألمانيا بما يستحقه من تقدير جاد . لقد اتفقنا ياسيدى الفوهرر فى المقابلة السابقة عندما اقترحت إيفاد ابنى الدكتور « كارل هوشوفير » أن الشخص المناسب لهذه المهمة يلزم أنه تكون له صفة رسمية فى الدولة الألمانية .

قال هتلر : ومن هو الرجل الذى تطمئن معه انجلترا أنه يمثل شخصى تماماً حتى أرسله إليها ؟

أجاب هيس على الفور : أنا !

ورفع هتلر عينيه نحو هيس وجعل يتأمله . قال هيس :

ـــ أنا معروف جداً لدى البريطانيين .

ـــ وسأله هتلر : وكيف ستسافر ياردولف إلى لندن وسط كل هذه الغارات ووسط الطائرات ووسائل الدفاع الجوى البريطانى المتصدية للغارات الألمانية ؟

ـــ قال هيس : لن أسافر إلى لندن . سأسافر إلى اسكتلندا حيث الجو أكثر هدوءاً وأماناً وحيث أقابل دوق هاملتون صديق تشرشل وملك بريطانيا ليمهد لى طريقى إلى لندن .

وعلى الرغم من وجود باقياً للتردد لدى هتلر ، إلا أن الخطة كما عبر عنها هيس تبدو معقولة من حيث إمكانية الوصول إلى المكان المقصود . وكم من مهام عجيبة حققت أغرب النتائج .

قال هتلر : وماذا لو « ركل » تشرشل عرضاً للصلح على هذا المستوى الرفيع من جانب هتلر ؟ ماذا تكون النتائج ، وكيف يمكن لألمانيا مواجهة الموقف على مستوى العالم الذى يراقب كل شىء بعيون مفتوحة ؟

كان هيس يتوقع هذا السؤال من هتلر ، وكان قد أعد الإجابة عليه سلفاً قبل المقابلة مع هتلر ، فقال هيس :

ـــ فى هذه الحالة المستبعدة الحدوث يكون فى وسعك أن تعلن على الملأ أنك لا تعلم شيئاً عن نواياى فى القيام بهذه الرحلة ، وتستطيع أن تتهمنى

بالهروب من الخدمة فى ألمانيا ، وبالخيانة ، وتستطيع أيضاً أن تتهمنى بالجنون .

وساد صمت قطعه الإعلان عن وصول جورنج وروزنبرج وهما الرجلان اللذان يحتل أحدهما المركز الثانى بعد هتلر ، ويحتل الآخر المركز الرابع ، ولم يعرف هيس صاحبُ المركز الثالث ما إذا كان يستمر فى مناقشة مهمته مع هتلر أم يتوقف عن ذلك وهو لم يحصل بعد على موافقة هتلر الصريحة على القيام بمهمته الخطيرة ، ولم يستطع هيس أن يقطع برأى فترك الموضوع لتصرف هتلر الذى طلب من البروفيسور هوشوفير البقاء مع زوار هتلر لتناول الغداء ، ووافق هوشوفير على الدعوة فوراً ، وهو شاكر ممنون .

وفور انتهاء الغداء نهض هتلر من المائدة وقبَّل يد « إيفا براون » ، وكانت هذه إشارة من المتفق على أن يغادر جميع الموجودين المكان عند حدوثها .

ولدى وصول ضيوف هتلر إلى بوابة القصر ، وجدوا أن ''ألبرت بورمان'' سكرتير هتلر ، قد اتصل تلفونياً بقائد حراسة البوابة الرئيسية يأمره بأن يعود ضيوف الفوهرر لمقابلته مرة ثانية .

ـــ سأل هيس : هل يريدنا جميعاً ؟ فقال قائد الحراسة :

ـــ نعم .

وعاد الجميع أدراجهم إلى مكتب هتلر الذى كان يذرع حجرة مكتبه الواسعة جيئة وذهاباً ، ثم جلس إلى المكتب بمجرد دخول زائريه . ثم أخذ هتلر على الفور يوجز موضوع مهمة هيس بوضوح وإيجاز على جورنج وروزنبرج كما لو كان قد قرر أن يستشيرهما فى رحلة هيس إلى انجلترا . وبعد قليل من الأسئلة وافق جورنج على الرحلة بحماس ، وزادت دهشة هتلر عندما وافق عليها روزنبرج أيضاً على الرغم من أن روزنبرج كان من دعاة الهجوم البرى على بريطانيا وعدم الاكتفاء بهجوم سلاح الجو الألمانى عليها . كان يقول دائماً: وما جدوى أن يضرب جورنج انجلترا بالقنابل ؟ هل نحتل لندن بقنبلة ؛ ولماذا يوجد عندنا مدرعات ومدفعية ومشاة ؟ هل سنحتل بها السماء ؟ إن احتلال الأرض لا يتم بدون جنود المشاة ! وافق روزنبرج أيضاً على رحلة هيس إلى انجلترا بحماس شديد . وبدأ هيس يشعر أن رحلته ستحقق نجاحاً عالمياً

منقطع النظير على مدار تاريخ العالم .

وفرك هتلر جبهته بأصابع يده كما لو كان يحاول اعتصار قرار مهم من أعماق رأسه ، ثم التفت ناحية هوشوفير وقال : بروفيسور . لماذا لم تدل برأيك ؟ إنك لم تقطع برأى . ما رأيك الآن ؟

قال هوشوفير : لقد تحدثت وقلت رأيى منذ سنوات .. لا حرب فى جبهتين فى وقت واحد .. الجنس الآرى لا يجب ولا ينبغى أن يحارب بعضه بعضاً .. الجنس الآرى يجب أن يتعاون أبناؤه لكى يسودوا العالم .. اتفقنا ياسيدى الفوهرر على ذلك .. ولقد سجلت ذلك فى كتابك العظيم ، كتاب « كفاحى » .

قال هتلر : نحن جميعاً متفقون إذًا بشأن رحلة هيس ؟

وران على الجميع صمت . فوقف هتلر ... وانصرف الجميع ... ولم يكن ثمة ريب فى موافقة هتلر الضمنية .. ولكن ياللدهاء ، ويالللحذر ... إن هتلر لم يتفوه بأمر صريح أصدره بعبارة صريحة إلى هيس أن يذهب فى مهمة عرض السلام على انجلترا ، ولم يزوده بأى تعليمات بشأنه ، ولم يجر أى اتصال مع دولة متصلة العلاقات مع انجلترا كى تمهد لمهمة نائبه هيس إلى انجلترا وترعاها وترعى سلامته شخصية وتضمن عودته فى حالة فشل مهمته ... إن موافقة هتلر ، « موافقة ضمنية » ، واعتبر هيس أنها موافقة تامة لا ريب فيها لمجرد حماسه لمهمته العظمى ... !

الشروع فى الرحلة البائسة

كان هيس بحلول يوم ٢ مايو ١٩٤١ ، قد أعد كل ما يلزم لرحلته البائسة التى كان يظن أنها أهم أعمال التاريخ وأكثرها قيمة . كان هيس قد حصل على طائرة مجهزة بخزانين إضافيين للوقود ، وكان قد تدرب على قيادتها ، حصل على خريطة بالمسارات الآمنة فى أجواء ألمانيا واسكتلندا ، وكما درس نظام التخاطب بالإشارات اللاسلكية ، زود طائرته بجهاز راديو شديد الحساسية .

وفى يوم ٢ مايو ١٩٤١ قام هيس بزيارة الأستاذه البروفيسور « كارل هوشوفير » ، وبعد مرور ، أربع ساعات من الحوار الفلسفى والحوار السياسى شعر هيس أنه قد استطلع رأى أستاذه فى كل ما يتصل بمهمته الجليلة عندما يصل إلى اسكتلندا ثم ينحدر منها إلى لندن .

اتصل هيس من خلال الهاتف بالفوهرر وقال هيس : أنا مستعد ياسيدى الفوهرر تماماً للقيام بالرحلة . أنا مستعد من حيث القدرة على الطيران .. مستعد نفسياً .. مستعد سياسياً .. مستعد فكرياً .. هل أطير الليلة ياسيدى الفوهرر ؟

وران صمت بدا طويلاً . وبعد فترة صمت قال هتلر كلمة واحدة هى : نعم !

هل كان هتلر يتفادى أن يعطى موافقة صريحة أمام شهود عيان فيما يتعلق برحلة هيس ، ولما سأله هيس هذا السؤال الذى يستحيل تفادى إجابته بكلمة نعم ، أو لا ، لم يكن هتلر يريد إعطاء أى كلمة ، ثم تذكر هتلر وقدر أن مكالمة هيس تجرى من خلال الهاتف ولا يكاد يوجد شهود على محادثة تتم عبر أسلاك الهاتف . إن كلمة ''نعم'' هذه لو صحت نسبتها إلى هتلر لاعتبرت هى الموافقة اللفظية الصريحة الوحيدة الدالة على موافقة هتلر

على رحلة هيس إلى انجلترا لعرض الصلح بين الدولتين !

وبعد أن غادر هيس منزل أستاذه البروفيسور « كارل هوشوفير » ، ذهب إلى منزله واستدعى مساعده النقيب (الكابتن) كارلهنز بينتش وذهبا فوراً إلى المطار ، وتوجها مباشرة نحو تلك الطائرة التى كان يطلق عليها فى المطار ، طائرة نائب الرئيس ، « **رودلف هيس** » . ووقف هيس قبالة مساعده ''بينتش'' وظهره للطائرة وأخرج من حافظة أوراقه خطابين أحدهما موجَّه إلى هتلر والآخر لمساعد هيس .

قال هيس لمساعده : انتظر هنا بالمطار لمدة ٤ ساعات .. ثم افتح الخطاب المعنون باسمك إن لم أعد بعد ٤ ساعات .. وبعد أن تقرأ محتويات الخطاب المعنون باسمك ، سلم الخطاب الآخر إلى الفوهرر شخصياً ، وإن لم تستطع مقابلة الفوهرر لأية أسباب لا تسلم الخطاب إلى شخص آخر سوى ''ألبرت بورمان'' سكرتير الفوهرر الخاص ، وأنت تعرفه جيداً يا بنتش ، وهو موجود دائماً بمكتبه المجاور لمكتب الفوهرر بدار المستشارية .. ثم صعد هيس إلى كابينة الطائرة ، ولم تلبث الطائرة أن ارتفعت عن الأرض لتشق طريقها فى الهواء ...

وبعد ساعتين ونصف من الطيران الليلى ساءت الحالة الجوية ، وأيقن هيس استحالة الطيران لإتمام الرحلة ، فقفل بطائرته عائداً إلى المطار الذى كان قد أقلع بطائرته منه ، وقد زاد من سرعة الطائرة ليوفر فى رحلة العودة مقدار النصف ساعة بعد ساعتى الطيران ليلحق بمساعده قبل أن يبرح أرض المطار .

وكان مساعده بينتش قد فتح الخطاب المعنون باسمه .. وقرأه .. وفغر فاه من الدهشة ولم يستطع أن يتفادى إطلاع الحارس الخصوصى الموجود بالسيارة ولا السائق على محتوى خطاب هيس ..

وبينما ثلاثتهم فى دهشة بالغة سمعوا أزيز طائرة تقترب ثم شاهدوا طائرة هيس تهبط على أرض المطار .

واصطحب هيس رجاله الثلاثة إلى المنزل لينظر بشأن مدى كتمانهم لأسرار رحلته المدهشة . أبدى الرجال حماسهم لجدوى الرحلة بعد أن شرح لهم هيس مزايا الصلح مع بريطانيا لمواجهة خطر الروس والشيوعية والبلشفية . لم يحتل

البريطانيون أرضاً ألمانية ، وليست هنالك حدود مشتركة بين بريطانيا وألمانيا ، ولكن الروس يقفون متحفزين للوثوب على ألمانيا على طول الحدود الشرقية لألمانيا ، وها هم أولاء الروس يحاولون التسلل إلى دول صغيرة ومناطق محيطة بالأراضى الألمانية ، وها هو ذا الحزب البلشفى الألمانى يتلقى زعماؤه التعليمات من موسكو ، ويعملون بمثابة طابور خامس بالغ النشاط لبث الأفكار الشيوعية بين الألمان !

كانت الأهداف الاستراتيجية النظرية بالغة الوضوح وبالغة الإقناع ، ولكن كيف السبيل إلى تحقيق الأهداف العملية للرحلة . لقد فشلت المحاولة الأولى يوم ٢ مايو ١٩٤١ . ولابد من محاولة ثانية ، ولم يكن هيس يحسب أن الأحوال الجوية لها كل هذا التأثير الخطير على مثل هذه المهام ، فبدأ الاهتمام المكثف بتقارير الأحوال الجوية ، وأوصى بضرورة تمرير نشرة كاملة للأحوال الجوية كلما جدت تغييرات فى الأحوال الجوية مع الاهتمام بنشرة الأحوال الجوية فى الأيام القليلة التالية أى نشرة التنبؤ بالحالة الجوية . وكانت تصل إلى مكتب هيس نسخة من جميع النشرات الجوية التى يتم إرسالها إلى سلاح الطيران الألمانى .

حاول هيس الاتصال هاتفياً بالفوهرر لإبلاغه باضطراره إلى العودة نظراً لسوء الأحوال الجوية ، ولم يجده بمكتبه ، ولا بمخدعه . اتصل هيس بألبرت بورمان ، سكرتير هتلر الخاص فأبدى بورمان دهشته من وجود هيس بألمانيا ، وقال :

ــ هل هذا معقول .. كنت أعتقد أن سيادة النائب فى مكان آخر غير ألمانيا .

قال هيس : أين الفوهرر ؟

ورَدَّ بورمان : لقد آثر الفوهرر الراحة اليوم .. غادر برلين ، ذهب إلى ميونيخ ليستجم .

قال هيس : أعتقد أنك تستطيع يابورمان أن تتصل به هاتفياً فى ميونيخ لضرورة أن تخبره بعودتى نظراً لسوء الأحوال الجوية ، وسأطير عندما تسمح

الأحوال الجوية بذلك . إننى أعتمد عليك فى إبلاغ الفوهرر بعودتى ياهر بورمان .

قال بورمان : سأفعل قطعاً وبالتأكيد ياسيدى النائب وقضى هيس بضعة أيام فى برلين يتفحص نشرات الأحوال الجوية ويعنى بشئون منزله وزوجته وابنه وحديقته . ووضع رسالة إلى زوجته داخل دبابة صغيرة يلهو بها ابنه ''وولف رود ريجر'' ولا يمكن إدارة مفتاح المحرك إلا باستخراج الرسالة .

فى العاشر من مايو كان الجو ملائماً

أكدت تنبؤات الأرصاد الجوية أن ليلة العاشر من مايو ستكون أحوالها الجوية ملائمة للطيران . وصباح يوم العاشر من مايو ١٩٤١ ، اتصل هيس هاتفياً بمساعده وهو يقول له : موعدنا اليوم يابينتش .. سأطير فى الساعة السادسة مساءً . تعال عندى فوراً .

وجا بينتش مسرعاً إلى منزل هيس ، أعطاه هيس رسالة جديدة إلى الفوهرر ، وأمره أن يلزم مكتب هيس وأن يرد على المكالمات الهاتفية التى تصل المكتب بما يراه مناسباً بحيث لا يعرف من لا يعرف أسرار الرحلة شيئاً عنها .

وعند الظهر ، جاء روزنبرج ، النائب الثالث لهتلر وأستاذ الأيديولوجية النازية لزيارة هيس بمنزله .

ونزل هيس فوراً لاستقباله إذ ربما كانت معه تعليمات ما من الفوهرر بشأن الرحلة . وبعد تبادل التحية سأل هيس : هل لديك تعليمات جديدة ياروزنبرج ؟

قال روزنبرج : لا تعليمات جديدة من الفوهرر . كل ما فى الأمر أن الفوهرر قد كلفنى أن أتدارس معك بعض نقاط الموضوع من النواحى السياسية والأيديولوجية قبل أن تطير ياهيس .

وجلس الرجلان ساعة كاملة يتناقشان بشأن الرحلة،ما يجوز التنازل فيه ، وما لا يجوز التنازل عنه .

وعند وداع روزنبرج قال هيس : سأتصل هاتفياً بالفوهرر لإبلاغه موجز ما انتهينا إليه ياروزنبرج .

قال روزنبرج : لا . لا تفعل يا هيس . إن ظروف الفوهرر لا تسمح بكل

لحظة أبوة « هيس » يداعب ولده « وولف رودلف » والذى لم يره بعدها حتى بلغ ولده اثنين وثلاثين عاماً .

وبعد انصراف روزنبرج من منزل هيس ، شرع هيس فى وضع اللمسات الأخيرة له بمنزله .. لقد شارفت ساعة يده الرابعة بعد الظهر ... لم يبق إلا ساعتان . وضع هيس رسالتين بالخزينة ، واحدة إلى زوجته ، شرح فيها ضرورة الرحلة وأهميتها ، والأخرى إلى هتلر .. وضاعت هاتان الرسالتان تحت

أنقاض بيت هيس بعدئذ إثر ضربه بقنابل الحلفاء شأن جميع بيوت ومنازل برلين . وفتح هيس مرة ثانية الدبابة الصغيرة التى يلهو بها ابنه ، وضع مفتاح الخزينة به ملفوفاً بالرسالة التى كان قد وضعها من قبل بالدبابة الصغيرة . ووضع الدبابة الصغيرة بمكان ظاهر فوق سطح المكتب .

ارتدى هيس ملابسه ، وذهب إلى حجرة نوم زوجته ''إلزى'' ، وقال لها : عزيزتى إلزى .. لقد تلقيت مكالمة عاجلة مهمة الآن .. سأسافر خارج برلين فوراً .

وكانت إلزى قد تعودت مثل هذه المفاجآت فلم تعترض وقالت : متى ستعود ؟ قال هيس : من يدرى ؟ ثم ودع هيس زوجته وهو يقول : إلى اللقاء يا إلزى .

نزل هيس إلى حديقة المنزل ليركب سيارته ، وسمع صوت ابنه مع المربية ، يلهوان ، فتوقف هيس ، وذهب نحو ابنه ''وولف رودريجر'' ، وحمله وقبله وقال له : إلى اللقاء ياوولف . قال وولف : إلى اللقاء بابا . متى ستعود يابابا ؟ قال هيس : قريباً ياوولف .

ولم ير رودلف هيس ابنه وولف رودريجر من ذلك اليوم ، يوم العاشر من مايو ١٩٤١ إلا بعد ٢٩ عاماً عندما زاره ابنه فى الساعة العاشرة صباح يوم ٥ يناير ١٩٧٠ !

جلس هيس إلى عجلة قيادة سيارته المرسيدس البرتقالية اللون ، وأدار المحرك ، وخرجت السيارة من منزل هيس لتخترق طريق ''أوتو باهى'' إلى المطار مباشرة حيث كان مدير المطار الهر ''بيهى'' فى انتظار هيس . وفتح مدير المطار البوابة المؤدية إلى الممر الخاص بطائرة هيس ، ودلفت سيارة هيس حتى وصلت إلى قرب جناح الطائرة الصغيرة الفضية اللون .

أدى الهر بيهى تحية عسكرية لرودلف هيس وهو يقول : الطيارة تمام ياسيادة نائب الفوهرر .. ورد هيس التحية العسكرية بمثلها وهو يقول : شكراً ياهر ''بيهى'' . أرجو أن تعود بسيارتى إلى منزلى .. شكراً لك .. وإلى اللقاء . ودلف هيس إلى الطائرة وأدار محركاتها ، وطارت طائرة هيس تكتسب ارتفاعها فى الهواء وكانت الأحوال الجوية مواتية ملائمة هذه المرة .

بلوغ المكان دون بلوغ الهدف

شقت طائرة هيس طريقها فى الجو الذى بدأ فى الإظلام إذ كانت الساعة قد بلغت السادسة مساء يوم ١٠ مايو ١٩٤١ متجهة نحو شمال ألمانيا ثم مرت بأجواء هولندا وتخطت بحر الشمال ، وبلغت بحيرة هولى أيلاند .. كان خبراء سلاح الطيران الألمانى قد حددوا مع هيس من قبل المسار المناسب لرحلته إلى اسكتلندا ، وأوصوه أن يدخل اسكتلندا من جهة ''أنفرس'' وها هو ذا هيس يقترب منها ، ووجد هيس نفسه فوق قصر ''دونجافيل هاوس'' ، حيث يقيم الدوق ''هاملتون'' أبرز قادة سلاح الطيران البريطانى ، الذى يستمد حظوته الكبرى من أهمية سلاح الجو البريطانى ، إلى حد غدا معه الدوق هاملتون صديقاً حميماً لرئيس الورزاء الريطانى تشرشل ولملك بريطانيا أيضاً ، وكان الدوق هاملتون هو أول رجل اسكتلندى يحصل على لقب ''دوق Duke ، وهو لقب رفيع المستوى فى بريطانيا لا يحمله إلا أقرب المقربين إلى الملك ورئيس الوزراء والوزراء وأعضاء البرلمان البريطانى .

وحاول هيس فى البداية الهبوط بطائرته فوق سطح قصر دونجافيل هاوس ، ولكنه اكتشف أنه المساحة المربعة للسطح لا تكفى لنزول الطائرة ، فقرر النزول بأقرب أرض فضاء تصلح لهبوط طائرته على الأرض ، فلا يحول بينه وبين قصر دونجافيل هاوس سوى خطوات يمشيها على قدميه ، ولكن .. يالها من خطوات لم تتوقف إلا فى نورمبرج .. ومنها إلى السجن مدى الحياة !

وليس لنا إيثاراً للإيجاز أن نتوقف طويلاً عند تفاصيل نزول هيس بالمظلة إلى الأرض ، وارتطام ساقه بالأرض ارتطاماً شديداً سبب له ألماً وجعله عاجزاً عن النهوض بمفرده عن الأرض حتى ساعده على النهوض فلاح إنجليزى يدعى ''ديفيد ماكلين'' ، واقتاده إلى منزله ، ثم اقتاده رجال من الحرس الوطنى البريطانى إلى مقر قيادة هذا الحرس الوطنى فى بلدة ''يوزبى'' ، وكان هذا

المقر قبل الحرب مجرد مبنى قديم متواضع للكشافة . ويكفى أن نذكر كيفية اقتياد هيس إلى هذا المكان لتدرك مدى المهانة التى لقيها هيس عندما وصل إلى خاتمة رحلته فى اسكتلندا . كان أحد رجال الحرس الوطنى الإنجليزى يمشى باعتداد أمام هيس ، بينما كان يمشى وراءه رجل آخر ، وقد شهر مسدسه فى ظهر هيس الذى لم يكن يحمل أى سلاح ، ولكن بدا للحارسين الإنجليزيين أن هذه هى الطريقة المثلى لاقتياد طيار ألمانى أسير !

وأفضت رحلة هيس بالنائب الثانى لهتلر كى يجد نفسه يدفع دفعاً للدخول فى حجرة حقيرة بمقر قيادة الحرس الوطنى الإنجليزى فى بلدة ''يوزبى'' . وعندما رأى هيس الحجرة خالية من أى أثاث ، شد قامته وقال : أنا ضابط ألمانى . ورد عليه الرجل الذى يضع المسدس فى ظهره وقال : لا يهمنى حتى لو كنت السفاح هتلر نفسه . هتلر ، الزعيم الفوهرر ، مجرد سفاح فى نظر هذا الرجل البريطانى .

كان ذلك هو المكان الحكومى الذى وجد هيس نفسه بداخله بعد أن كان قد غادر مع رجال الحرس الوطنى منزل الفلاح البريطانى ، ديفيد ماكلين ...

وصل هيس إلى المكان الذى كان يريد الوصول إليه ، ولكن ما أبعد المسافة لبلوغ الهدف الذى يأمله هيس للرحلة !

ولما كانت ساق هيس تؤلمه ، وبعد اتصالات هاتفية متعددة ، وبعد عدة انتقالات ، وصل المطاف بنائب الفوهرر إلى مستشفى ملحق بسجن مارى هيل ، باعتبار أنه أسير حرب مصاب ، ومن حقه أن ينال العلاج بإحدى المستشفيات العسكرية إلى أن تقرر السلطات المختصة ما يلزم بشأنه .

سألوه بالمستشفى عن اسمه لتدوينه بسجلات المستشفى فلم يكتف هيس بذكر اسمه بل قال لهم : اسمى هوفمان هورن ... ضابط ألمانى .. أريد أن أقابل دوق هاملتون بشأن أمر هام جداً جداً .

قال مأمور السجن : المهم هو علاج ساقك أولاً .

قال هيس : إن الأمر أهم من علاج ساق المصاب . عندى كلام على جانب كبير من الخطورة ، ويهم الدوق هاملتون أن يعرفه شخصياً وبأقصى سرعة ..

بأقصى سرعة من فضلك . اتصل به فوراً الآن .

قال مأمور السجن : اسكت أيها الأسير .. من أنت حتى توجه كلاماً بصيغة الأمر إلى ضابط بريطانى يدير المستشفى ... أنت هنا تؤمر لتطيع ، وليس لك الحق فى توجيه أى أوامر إلى ضابط بريطانى !

وأدرك هيس أن عليه أن يغير طريقته فى الكلام فقال :

ـــ نعم ياسيدى . أنا أسير عندكم ومصاب ، وأشكركم لتقديم العلاج لى . إن هذا لا يمنع أن أخبر سيادتكم أننى أريد مقابلة الدوق هاملتون بأقصى سرعة . لقد جئت من ألمانيا بطائرتى خصيصاً من أجل مقابلته ولذلك قلت ياسيدى إن مقابلة الدوق أهم من علاج ساق . إننى أخبرك ياسيدى فحسب أننى أريد مقابلة الدوق لأمر هام وعاجل جداً .. وأخشى ياسيدى أن يصيبك مكروه لو ثبت فيما بعد أنك سببت تأخيراً فى مقابلتى مع دوق هاملتون .

وأحدثت كلمات هيس على هذا النحو التأثير المطلوب وأدرك مأمور السجن أنه ليس إزاء علاج حالة مرضية فحسب ، وزادت دهشته ، وتملكه حب الاستطلاع ، فقال:

ـــ حسناً أيها الضابط الأسير .

أصبحت لهجتك وطريقتك فى الكلام مناسبة ، كما تحسنت لغتك الإنجليزية عندما تحدثت بهدوء وبطريقة مناسبة . سأبذل قصارى جهدى للاتصال بالدوق هاملتون . هل تعرف من هو الدوق هاملتون ؟

قال هيس : أعرفه ويعرفنى .

قال قائد المستشفى : اطمئن سأعمل على ترتيب مقابلة لك مع الدوق بأقصى سرعة

ووصلت مكالمة هاتفية إلى الدوق فى قصره ، ووصل الدوق فوراً إلى المستشفى ، واصطحبه مأمور السجن إلى حيث كان يرقد هيس ، فقال هيس : مرحباً بالدوق هاملتون . قال الدوق هاملتون : هل تعرفنى أيها الطيار ؟

قال هيس : نعم بكل تأكيد وأنت أيضاً تعرفنى .

قال الدوق هاملتون : يبدو أن ذاكرتى قد ضعفت .. إن ملامحك ليست غريبة بالنسبة لى . يخيل إلىّ أنى أعرفك ولكن اسم هوفمان هورن اسم غريب على مسامعى .

قال هيس : إن اسم هوفمان هورن ليس اسمى الحقيقى . ولا أستطيع أن أكشف عن اسمى الحقيقى إلا إذا كنا على انفراد تماماً لأن ما سأقوله فى غاية الخطورة والأهمية ، ولا ينبغى أن يطلع عليه أحد إلا سيادتك ورئيس الوزراء وجلالة ملك بريطانيا .

دوق هاملتون الذى قام بإبلاغ « ونستون تشرشل » رئيس الوزراء البريطانى بمهمة « هيس » .

وأدرك الدوق هاملتون أنه بالفعل إزاء حدث غير عادى مما وصر الدوق خلفه ، وأعطى إشارة بيده انصرف على أثرها قائد المستشفى وياور الدوق من الحجرة ، وأغلق الباب وراء آخرهم .

قال الدوق هاملتون : تستطيع ياصديقى أن تتحدث الآن .

قال هيس : أنا النائب الثانى للفوهرر هتلر .. أنا وزير الرايخ الألمانى « **رودلف هيس** » .

واشتد ذهول الدوق هاملتون وهو يقول :

ـــ حقاً . إنك شديد الشبه بالمر « **رودلف هيس** » الذى نشاهد صورته الفوتوغرافية فى كثير من الصحف . ولكنك تقول إن اسمك هو هوفمان هورن .

قدم هيس جواز سفره إلى دوق هاملتون الذى تفحصه وهو يقول : هذا جواز سفر يحمل اسم « **رودلف هيس** » وصورته .. ولكننى أريد دليلاً آخر على أنك فعلاً « **رودلف هيس** » أكثر من جواز سفر يمكن تزويره بسهولة بالنسبة لأى جهاز مخابرات .

قال هيس : ليست هذه مشكلة مستعصية على الحل ياسيدى الدوق . أنا متأكد أن عشرات من الرجال عندكم يعرفوننى معرفة شخصية جيدة . بريطانيون كانوا يعملون بالسلك الدبلوماسى فى خدمة حكومتكم يعرفوننى شخصياً باعتبار أننى فعلاً « **رودلف هيس** » النائب الثانى للفوهرر ، وهم قد تعاملوا معى فى ألمانيا على هذا الأساس المهم عند هو أن أشرح لكم هدفى من هذه الرحلة التى أوصلتنى عندكم .

وراح هيس يتكلم بحماس شديد عن شخصية هتلر ، وعدم رغبته فى تحطيم بريطانيا ، وسبب الحرب ... والمجال الحيوى .. والجنس الآرى ... فقاطعه الدوق قائلاً : يلزم أن أستعين بمترجم . إنك تتكلم الإنجليزية كلغة أجنبية ، ولكنها لا تساعدك على أن تعبر عن أفكارك بسهولة لتقول كل ما تريد قوله .

قال هيس : لا حاجة بنا إلى مترجم الآن . ولا بأس من وجود مترجم عندما أجتمع بالرسميين الإنجليز .

قال الدوق هاملتون : هل تناولت عشاءك ؟

قال هيس : أبداً .

هم الدوق بالانصراف وهو يقول : حسناً . كل شيء سيكون على ما يرام .

قال هيس : ياسيدى الدوق . إنك لم تعرف بعد لماذا جئت إلى هنا . لقد جئت إلى هنا ومعى شروط السلام مع بريطانيا !

توقف الدوق عن الخروج من الحجرة لدى سماعه الجملة الأخيرة التى قالها هيس .. ثم استأنف السير خارجاً من الحجرة ، ونادى قائد السجن قائلاً له .

ـــ قدم عشاء جيداً لهذا الضابط الأسير لأنه على جانب كبير من الأهمية بالنسبة لبريطانيا فيما يتعلق بسير الحرب مع ألمانيا . وأوصيك باتخاذ الإجراءات المناسبة لنقله فى الصباح الباكر إلى ''جلاسجو'' .. ولا تنس أن تقدم إليه كل ما يطلبه من مشروبات أيضاً !

اقتاد الدوق هاملتون سيارته إلى قاعدة ''تيرن هاوس'' الجوية حيث دخل كابينة القيادة فى طائرته الخاصة التى كانت تنتظره بتلك القاعدة الجوية متجهاً نحو قاعدة ''مورثولت'' الجوية الأشد قرباً إلى مدينة لندن . وحاول الاتصال هاتفياً بمقر رئيس الوزراء البريطانى ، مستر ونستون تشرشل فعلم أنه قد سافر مساء يوم السبت إلى قصره الريفى فى ''ديتشلى بارك'' ليقضى به إجازة يوم الأحد .

قال الدوق هاملتون لمحدثه على الجانب الآخر من الهاتف : سأطير أنا فوراً إلى ''ديتشلى بارك'' ، وأرجوك أن تتصل بالمستر تشرشل هناك لتبلغه أننى أريد مقابلته فور وصولى إلى ''ديتشلى بارك'' .

واستقبل تشرشل الدوق هاملتون ، ولم يستبق من الناس حوله سوى السير ''أرشيبالد سنكلير'' وزير الطيران البريطانى .

هيس أو .. لا .. هيس ..
بين تشرشل وهتلر

قال تشرشل : لماذا ياسيدى الدوق هاملتون كنت تريد مقابلتى منذ ساعتين . يؤسفنى أن أحداً لم يوقظنى من النوم .

قص اللورد هاملتون حكاية نائب الفوهرر « **رودلف هيس** » على مسامع تشرشل كما عرفها بنفسه مشيراً إلى أن آخر جملة قالها هيس كانت بالحرف الواحد : ''أنا أحمل شروط السلام مع بريطانيا'' .

ولم يعقب تشرشل بكلمة واحدة ، ولم يدل برأى ، بل سأل : هل أنت واثق ياسيدى الدوق مائة فى المائة أن هذا الرجل هو « **رودلف هيس** » ؟

قال الدوق : أعتقد أنه هو « **رودلف هيس** » ... أنا لا أعول كثيراً بطبيعة الحال على وجود شبه كبير ، ولا أعول على جواز السفر ، ولكن هذا الرجل ذكر لى أثناء استجوابى له اسم البروفيسور ''كارل هوشوفير'' ، وقد درست على يديه عندما ذهبت إلى جامعة ميونيخ وأنا أعرف جيداً أن الضباط الألمان العاديين يستحيل عليهم الاتصال برجل مثل البروفيسور ''كارل هوشوفير'' ، إنه رجل يعيش فى عالم خاص ، ولا يتصل به إلا رجال من أمثال هيس .

هذه القرينة هى الشىء الوحيد الذى يؤكد لى أن الرجل الى هبط بالطائرة بجوار قصرى باسكتلندا هو بالفعل « **رودلف هيس** » ، نائب الفوهرر هتلر .

قال تشرشل : هيس أو .. لا .. هيس ، هيا نشهد الآن الإخوان ماركس .

Hess or not, let us see the brothers Marx.

وكانت شركة الأخوان ماركس للسينما تنتج أفلاماً وكان تشرشل يحرص يوم إجازته على مشاهدة بعض هذه الأفلام فى قصره : ''ديتشلى بارك'' !

وبعد مشاهدة الإخوان ماركس كان تشرشل قد اتخذ فى صمت قراراته

فيما يتعلق بشأن هيس .

تناول تشرشل الهاتف . وأدار الرقم الخاص بوزير خارجيته ''أنتونى إيدن'' وقال له :

يوجد بحوزتنا طيار ألمانى يدعى أنه « **رودلف هيس** » ، نائب هتلر ، وأنه معه شروط الصلح مع بريطانيا .. إذا كان الطيار الألمانى هو هيس حقيقة ، فإن أول خطوة يجب أن تكون هى التأكد من شخصيته على نحو قاطع لا ريب فيه . ويلزم بعد ذلك التعرف على وجهة نظره كاملة .. على أن يتم ذلك بأقصى سرعة ممكنة. إذا كان هذا الطيار هو هيس فعلاً ، فربما كان قد اختلف مع هتلر وجاء هارباً .. يلزم دراسة الموضوع من جميع نواحيه بكل دقة . عليك يا أنطونى الاتصال بالسير ««ألكسندر كادوجان'' حيث إنه يعرف هيس شخصياً أثناء عمله فى سفارتنا فى برلين .. سيكون الدوق هاملتون فى طريقه إليك لتنظيم التعاون بينكما فى هذا الموضوع الهام .

وأسرع ''أنطونى إيدن'' فى الاتصال بسير ''ألكساندر كادوجان'' ، وأعطاه موجزاً عن الموضوع ، فأوصى بدوره بضرورة الاستعانة بالمستر ''إيفون كيرك باتريك'' الذى يعمل بالقسم الألمانى من الإذاعة البريطانية حيث يجيد الألمانية والإنجليزية أكثر من أى شخص آخر ، ويعرف هيس شخصياً حيث كان يعمل سكرتيراً أول للسفارة البريطانية فى ألمانيا منذ عام ١٩٣٣ حتى عام ١٩٣٩ ، وهو خبير بجميع شئون النازية .

وأصدر السير أنتونى إيدن تعليماته إلى ألكساندر كادوجان وإيفون كيرك باتريك لمصاحبة الدوق هاملتون ليطير بهما إلى قلعة ''بوتشانان'' قرب جلاسجو التى كان هيس قد تم نقله إليها .

وهكذا بدلاً من أن يتوسط الدوق هاملتون فى مقابلة هيس مع تشرشل وملك بريطانيا ، سيكون الدوق هاملتون وسيطاً بين هيس وبين كل من ألكساندر كادوجان وإيفون كيرك باتريك !

وتعرف إيفون كيرك باتريك على هيس ، وبدأت عملية استجواب هيس ، وأخذ هيس يتكلم .

كان هيس قد حلل سلفاً مع روزنبرج الأفكار الرئيسية التى سيطرحها هيس ، وحدد الزمن الذى يستغرقه عرض كل فكرة مثل : حقيقة شخصية ونوايا هتلر تجاه بريطانيا ، وتاريخ العلاقات بين بريطانيا وألمانيا وسيرها فى تاريخ معاكس لمصالح ألمانيا دون داع حقيقى ، والجنس الآرى الذى يجمع بين الألمان والإنجلو ساكسون وضرورة إنهاء الصراع بين عنصريه ..

وبعد أن تكلم هيس لمدة ساعة ، قاطعة إيفون كيرك باتريك بلهجة جافة غريبة لم يتعودها منه هيس من قبل إذ قال له :

ـــ هر رودلف .. إننا لا نريد منك دروساً فى العلوم السياسية أو فى التاريخ .. نحن نريد منك باختصار شديد أن تجيبنا عن سؤال محدد هو : لماذا جئت إلى هنا ؟ » .

وحاول هيس تجاهل السؤال والمضى فى الكلام كما كان قد أعده مع روزنبرج يوم رحيله عن منزله بألمانيا ، ولكن إيفون كيرك باتريك قاطعه مرة ثانية بلهجة أكثر خشونة وبرودة .

ـــ سيدى وزير الرايخ .. إننا نريد منك كلمات محددة .. إن كلامك هذا يصلح أن تقوله فى اجتماع كبير أو مؤتمر للحزب النازى فى ألمانيا .. ولكن كل ما نريده منك ''هنا'' هو أن تجيب على سؤال محدد هو : لماذا جئت إلى هنا ؟''

قال هيس : مادمت ياإيفو كيرك باتريك تصر على الإيجاز فإننى أقول لك إننى جئت إلى ''هنا'' لأقنع ''المسئولين'' فى إنجلترا ألا أمل لهم فى كسب الحرب ... إن هذا واضح تماماً ''الآن'' أكثر من أى وقت مضى .. إن مجيئى إلى ''هنا'' إنما هو ''هدية السماء'' إلى بريطانيا لتنقذ نفسها وتتفاوض معنا نحن الألمان الذين يجمعنا معكم جنس واحد ، من أجل السلام .. إن معى كل الصلاحيات من أجل تفاوض كامل ..

وقاطعه كيرك باتريك مرة أخرى قائلاً : وهل ينوى هتلر غزو بريطانيا إذا فشلنا فى التفاوض معك ؟

قال هيس : إن الفوهرر مستعد تماماً لعقد صلح مشرف للطرفين مع

بريطانيا على أساس مبادىء عامة هى : سيطرة ألمانيا الكاملة على أوروبا ، وإعادة المستعمرات التى كانت خاضعة ذات يوم لألمانيا فقط إلى ألمانيا إذ أن ألمانيا لا تطمع فى مستعمرات جديدة . وتتعهد ألمانيا بإبقاء جميع مستعمرات بريطانيا تابعة لها ، مع تعهد كتابى متبادل بين الدولتين على احترام كل منهما للآخر .

وطلب ألكساندر كادوجان من كيرك باتريك أن يسأل هيس : هل هتلر مستعد للمجىء إلى لندن أم أنه يفضل أن يقابل تشرشل فى بلد محايد مثل إسبانيا ؟ وما هو تصوركم لهذا اللقاء ؟ وقام كيرك باتريك بتوجيه السؤال .

ورد هيس على السؤال بقوله : أنا أحمل تفويضاً كاملاً من الرايخ الألمانى للتحدث باسمه لكى نتفق على كل شىء ..

لن ندع لهتلر عمل شىء سوى التوقيع . أما مكان التوقيع فهو مسألة شكلية بسيطة من السهل أن نتفق عليها . إننى أعرف أن الرايخ الألمانى يفضل بلداً محايداً مثل مدينة برشلونة كمكان للمؤتمر التاريخى الذى يجرى توقيع مراسم الصلح التاريخى فيه .

ثم ألقى هيس القنبلة الأخيرة على مسامع الإنجليز حين قال: ''ولكن هناك للرايخ الألمانى شرطاً ما'' قبل التوقيع على الصلح التاريخى . عليكم أن تغيروا رئيس وزرائكم ونستون تشرشل قبل مراسم التوقيع على مراسم الصلح التاريخى . إن هتلر يرفض التوقيع على صلح يكون تشرشل طرفاً ثانياً فيه !

إن هذا لا يمنع بطبيعة الحال أننى شخصياً مستعد للتفاوض مع رئيس وزرائكم الحالى ونستون تشرشل على شرط أن تعينوا رئيس وزراء جديد ليتولى التوقيع مع هتلر على بنود الصلح فى برشلونة .

ووقف الزوار الثلاثة على أقدامهم . والتفت الدوق هاملتون نحو هيس ، وقال له : هل لك طلبات معيشية معينة هنا ؟

قال هيس : نعم . لى بعض الطلبات . إننى أحتاج أثناء فترة إقامتى فى بريطانيا إلى سكرتير خاص ، ألمانى الجنسية ، ولا يلزم أن تستحضروه من ألمانيا . يكفى اطلاعى على كشوف الأسرى الألمان عندكم لكى أختار منهم

واحداً . وأحتاج من أجل إقامتى إلى منزل قريب من لندن . كما أننى أحتاج ملابس مدنية .

أنباء القبض على رودلف هيس تتصدر الصحف البريطانية بعد تسربها إليها يوم ١٣ مايو ١٩٤١ .

تبادل زوار هيس النظرات فيما بينهم لفترة من الوقت حتى قطع الدوق هاملتون الصمت بسؤال : هل تكتب ''التماساً'' بهذه الطلبات إلى رئيس الوزراء ؟

قال هيس : التماس ! إننى لن أتفاوض مع أحد منكم بعد اليوم إلا إذا أجيبت طلباتى كلها فوراً .. وبدون التماس .

ولقد ذكر هيس فى مذكراته فيما بعد أن سبب رفضه تقديم التماس كتابى إلى رئيس وزراء بريطانيا متضمناً طلباته هو خشية هيس من أن تستغل الدعاية البريطانية الورقة التى يكتبها هيس بتوقيعه كالتماس فى الدعاية ضد بلده : ألمانيا !

وحتى صباح يوم ١٣ مايو ١٩٤١ ، بعد رحلة هيس بيومين لم يكن قد صدر أى بيان رسمى بريطانى أو ألمانى بشأن رحلة هيس من ألمانيا إلى بريطانيا .

كان هتلر فى ألمانيا ينتظر أكثر من بيان بريطانى يعلن عن وصول طيار ألمانى اسمه هوفمان هورن ، يعقبه بيان آخر عن اعتلال صحة رئيس وزراء بريطانى ومشاورات لاختيار رئيس وزراء جديد . ولم يحدث شيء من ذلك .

وازداد قلق هتلر عندما أخذ يفكر فى البديل من ذلك وهو البيانات التى يستطيع جهاز الدعاية البريطانية أن يشنها ضد ألمانيا مستغلاً رحلة هيس إلى بريطانيا مثل : ''هيس وزير الرايخ الألمانى تسلل إلى بريطانيا طالباً الصلح ، وترفض انجلترا تمسكاً بالمبادىء التى يحارب عالم الحر من أجلها'' أو تستعرض بيانات الدعاية البريطانية شروط الصلح التى قدمها هيس بطريقة ساخرة مثل : هيس ، وزير الرايخ الألمانى يساوم انجلترا أن تترك أوروبا كلها لألمانيا ، وتترك ألمانيا المستعمرات البريطانية لبريطانيا !... ولكن بريطانيا ترفض الصفقة اللاأخلاقية .

وكان هتلر يخشى على وجه الخصوص أن يفضى هيس رغم إخلاصه وصلابته بأسرار عملية بربروسا التى كان هيس بحكم منصبه يعرف تفاصيلها قبل سفره إلى بريطانيا !

وكانت الاجتماعات بين قادة الرايخ الألمانى تتوالى يوماً بعد يوم لمناقشة نتائج رحلة هيس وما يمكن أن يحدث كرد فعل لها فى مجال دعاية الحرب ذات الأهمية البالغة البالغة على مجريات الحرب وسيكولوجية الجماهير فى مختلف شعوب الأرض .. كان حجم المشكلة هائلاً ..

وقاد جورنج حملة تشكيك فى إمكانية الوصول إلى أية نتائج إيجابية لرحلة هيس واستبعد ــ اعتماداً على الصمت البريطانى ــ أية نسبة نجاح تحققه هذه الرحلة . وإذا لم يحدث ترحيب سريع بالعرض الألمانى ، فإن رفض بريطانيا له أكيد ، وقادم فى الطريق ، ولابد أن يستعد الرايخ الألمانى لمواجهة الرفض البريطانى .

ومُزِّقَتْ بيانات أملاها هتلر على الجنرال ''يورنتشاتز'' وصولاً إلى صيغة بيان مناسب يمكن أن يذيعه الرايخ الألمانى بشأن رحلة هيس البائسة ! وبلغ عدد البيانات الممزقة سبعة بيانات ... واستقر الرأى على أن البيان فى صورته الثامنة مناسب إلى حد ما .. واستدعى هتلر مستشاره الصحفى الدكتور ''أتو ديتريش'' وقال له : ''راقب صدور أى بيان تصدره بريطانيا بأى صورة يتصل بطيار ألمانى أسير أو يتصل باسم هيس من قريب أو من بعيد .. واحتفظ بهذا البيان المكتوب معك ، واتصل بى فى أى وقت ولو كنت نائماً فور سماعك أى بيان بريطانى لأقول لك ما إذا كنت تذيع هذا البيان أو تعدل فيه شيئاً .

وازدادت أعصاب هتلر توتراً ..

ويوم ١٥ مايو ١٩٤١ ، أمر هتلر ، ودون انتظار لأى بيان بريطانى عن رحلة هيس ، وبقرار منفرد ، أمر هتلر الدكتور أوتو ديتريش مستشاره الصحفى بإذاعة البيان .

وفور سماع جورنج بيان الرايخ الألمانى بخصوص رحلة هيس اتصل هاتفياً بالفوهرر وسأله : هل حدث جديد بشأن هيس ؟ قال : هتلر : أبداً . قال جورنج : لماذا أمرت بإذاعة البيان ؟ فقال هتلر : ''إن بريطانيا التى تتردد فى قبول الهدية التى هبطت عليها من السماء لا تستحق أن نعطيها فرصة أكثر من هذا انتظاراً لقبولها'' .

ولقد جاء فى بيان الرايخ الألمانى بشأن رحلة هيس ما يلى : ''يعلن الحزب الاشتراكى الوطنى رسمياً أن عضو الحزب « **رودلف هيس** » الذى كان يعانى فى الفترة الأخيرة من اشتداد علة قديمة لازمته منذ سنوات ، وكان لهذا السبب ممنوعاً من الطيران قد تمكن من الحصول على طائرة حربية . وفى يوم السبت

الموافق للعاشر من مايو انطلق هيس بالطائرة فى رحلة لم يعد منها حتى الآن .

وقد ترك هيس وراءه رسالة خطية يدل تخبط الكلام فيها على أنه قد وقع فريشة لمرض الهلوسة'' .

وأضاف البيان فى سطوره الأخيرة عبارات من شأنها نفى شبهة معرفة هتلر أى شىء عن رحلة هيس إذ مضى البيان يقول : ''ولقد أصدر الفوهرر أمراً باعتقال مساعد عضو الحزب هيس باعتبار أنه الوحيد'' الذى كان يعرف معلومات بشأن هذه الرحلة ولم يقم بالتبليغ عنها لدى السلطات المختصة كما تقضى بذلك القوانين الألمانية المعمول بها . ومن المعتقد حالياً أن هيس قد وقعت له حادثة ما ! » .

وبعد أن أذاع الراديو لألمانى هذا البيان أكثر من مرة ذهب إيفون كيرك باتريك بمفرده لزيارة هيس ، وقال له : لى بعض أسئلة لتكملة حوارنا السياسى الممتع ! قال هيس : لن أتخذ أى خطوة نحو مناقشة اتفاقية الصلح المقترحة إلا بعد أن تجاب كل طلباتى فوراً . قال إيفون كيرك باتريك بلهجة ساخرة : ''شروط السلام !'' .

ثار هيس وقال : إيفون . إننى أحتج رسمياً على طريقة معاملتى هذه . أنا لست أسيراً عندكم .. لقد جئت من أجل السلام بين بلدينا .. وإذا لم يكن عندكم استعداد لإجابة مطالبى وشروطى من أجل السلام ، فإن ''الواجب'' يحتم عليكم إعادتى إلى ألمانيا فوراً .

ظل إيفون كيرك باتريك يبتسم وهو يقول : وكيف تتصور العودة قبل أن تعرف رأى بريطانيا فى مؤتمر صلح برشلونة ؟

قال هيس : لم يعد يهمنى رأى بريطانيا .. ويهمنى العودة إلى ألمانيا .. إننى ضيف كبير ، أمثل دولة عظمى .. هل تنكر بريطانيا أو ينكر أى سياسى فى العالم أننى الرجل رقم ٣ فى ألمانيا وفى العالم كله ؟ كيف تجرؤ بريطانيا على معاملتى هكذا ؟

قال إيفون كيرك باتريك : أنت تريد أن تنقلك طائرة خاصة بريطانية إلى برلين الآن ؟

قال هيس : نعم . إلى برلين أو إلى أية أراض ألمانية .

قال كيرك باتريك : وماذا تعتقد أن يكون موقف الرايخ الألمانى معك وقد فشلت مهمتك ؟

استشاط هيس غضباً وقال : وما شأنك أنت يا إيفون بنجاح أو فشل مهمتى ، هل أنت الذى تقرر هذا الشأن الخطير ؟ إيفون ! إنك كثيراً ما تنسى نفسك وأنت تتحدث إلى وزير الرايخ الألمانى . إنك خير من يعرف ذلك ياإيفون .

قال إيفون كيرك باتريك بحدة : بل أنت أيها الهر هيس .. أنت الذى لا تعرف ما يقوله الرياخ الألمانى الآن عن عضو الحزب هيس فى هذا البيان .

وناول إيفون كيرك باتريك صيغة البيان إلى هيس بذات لغته الألمانية . وأدرك هيس أن مهمته قد نسفها الرايخ الألمانى نفسه قبل أن تنسفها بريطانيا .

وبعدها ، وفى أعقاب معاناة هيس الهائلة من جراء صدمة تحققه من فشل مهمته حاول إيفون كيرك باتريك أن يحصل من هيس على أية معلومات تفيد بريطانيا فى الحرب ضد ألمانيا .. ولم يعطه هيس بكل إصرار أية معلومات بل أكد هيس لإيفون كيرك باتريك أن ألمانيا لا تنوى مهاجمة روسيا فى محاولة للتمويه على عدو ألمانيا .

وإذ شارفت محاورة كيرك باتريك لهيس نهايتها سأل هيس : وما هو رأى المستر تشرشل فى بيان هتلر ؟

فقال إيفون كيرك باتريك: هذا كلام أقوله لك ياهر هيس للتاريخ . إن تشرشل يؤكد أن البيان الألمانى غير صحيح جملة وتفصيلاً .. لأن البيان لم يصدر إلا بعد خمسة أيام من وصول عضو الحزب هيس إلى بريطانيا .. والبيان يتهمك ياهيس بالهلوسة والجنون واختلال العقل منذ زمن بعيد ، فكيف يتفق هذا مع احتلالك لأهم مناصب الدولة . وإذ أطلعت بنفسى المستر تشرشل على تفاصيل مناقشاتك معى ، يقول المستر تشرشل إنها تدل على أنك بعيد كل البعد عما يصفونك به من جنون .

وسأل هيس كيرك باتريك عن حجم المساعدات التى تتلقاها بريطانيا من

أمريكا ، فقال كيرباتريك : إنها مجرد مساعدة الصديق للصديق .

كانت مساعدة الصديق الأمريكى للصديق البريطانى هى خاتمة الحوار بين إيفون كيرك باتريك ورودلف هيس إذ لم يحضر لزيارته بعدها أبداً .

ولقد أصدر تشرشل تعليماته بشأن معاملة هيس على النحو التالى :

١ ــ يعامل ''هر'' « **رودلف هيس** » معاملة أسير حرب من الدرجة الأولى تحت إشراف وزير الحربية شخصياً . ومن المحتمل أن يكون مع بقية زعماء النازى مجرم حرب شأنه كشأنهم سواء بسواء ، ولكن توبته المبكرة قبل نهاية الحرب ستنفعه مستقبلاً .

٢ ــ يجب أن يعامل ''هر'' هيس باحترام كأى جنرال كبير يقع فى الأسر .

٣ ــ يجب المحافظة على صحة ''هر'' « **رودلف هيس** » باحترام مع الاهتمام براحته ، ويجب توفير الكتب وأدوات الكتابة له لاحتمال أن يكتب شيئاً يفيد الإمبراطورية فى حربها ضد ألمانيا . ويجب توفير الصلة بينه وبين العالم الخارجى من خلال الراديو والصحف اليومية ، إذ أن ذلك سيفيدنا عندما يبدأ الخط البيانى لانتصارات هتلر فى الهبوط ويبدأ الخط البيانى لهزائم هتلر فى الصعود .

٤ ــ يجب أن يعزل ''هر'' « **رودلف هيس** » عزلاً تماماً فى مكان مناسب غير بعيد عن لندن . ويجب بذل كل الجهود الممكنة لدراسة حالته النفسية والعقلية دراسة وافية .

ومساء يوم الجمعة الموافق ١٦ مايو ١٩٤١ تم نقل هيس إلى سجن برج لندن ، ونشر الخبر فى الصحف العالمية وظل هيس فى برج لندن حتى تم بناء سجن خاص داخل إحدى الحدائق المجاورة للندن .

وفى يوم ٢١ مايو ١٩٤١ ، فى جنح الليل تم نقل هيس داخل سيارة شرطة مقفلة من برج لندن إلى السجن الذى أعد له خصيصاً فى تلك الحديقة تحت إشراف مأمور تم تعيينه خصيصاً من صفوف ضباط المخابرات البريطانية هو الليفتنانت كولونيل « مالكولم سكوت » .

ولقد كان هتلر يحب هيس حباً جماً . ولاريب أن فشل رحلة هيس كان تضحية من جانبه فى سبيل وطنه ألمانيا ، ومن أجل الفوهرر شخصياً . إن نجاح مهمة هيس كان يعنى ذلك ، ولكن فشل الرحلة يعنى موت هيس ولو ظل على قيد الحياة بيد الإنجليز . ولقد كانت مأساة هيس تؤرق هتلر بعد ثبوت فشلها إلى حد أن أصدر هتلر أمراً إلى قائد طيرانه ، المارشال جورنج أن يضع خطة إغارة بالطائرات لخطف هيس بالقوة من أيدى الإنجليز على غرار عملية خطف موسولينى ، ووضع جورنج الخطة بالفعل ، وفشلت المحاولة لأن الإغارة الألمانية تمت على معسكر للأسرى الألمان لم يكن هيس بين نزلائه !

بقايا من النُّبْل

وكانت للفوهرر هتلر صديقة رومانية عندمنا كان هتلر شاباً يكتسب عيشه بصعوبة فى فينا ، وكان هتلر يكن لها حباً كبيراً ، واحتراماً كثيراً . كانت أميرة رومانية من أسرة بروكمان ، وظلت محتفظة بمكانة رفيعة لدى هتلر بعد وصوله إلى قمة السلطة فى ألمانيا . ولما مات زوجها الأمير الرومانى ''هوجو بروكمان'' فى أواخر عام ١٩٤١ حرص هتلر رغم كثرة مشاغله أن يسافر إلى ''بوخارست'' ليقدم لها العزاء بنفسه فقال لها بالحرف الواحد : ''لا تحزنى كثيراً ياسيدتى .. لقد حرمتنى الأقدار أنا أيضاً من الشخصين الوحيدين اللذين كنت أحبهما وأثقف بهما ، الدكتور أوتو ، ورودلف هيس . مات الدكتور أوتو ، وطار هيس بعيداً عنى ليموت وهو على قيد الحياة من أجلى ومن أجل ألمانيا ! '' .

قالت مسز بروكمان : ما هذا الذى تقوله الآن يا أدولف ؟ وما هذا الذى تقوله الصحف الصادرة فى ألمانيا عن « **رودلف هيس** » ؟

قال هتلر : « هل تصدقين ما تكتبه الصحافة ؟ إن معظم ما تكتبه الصحافة هو ما يمليه عليها الأقوياء وأصحاب السلطة . أما الحقائق فإن الله وحده هو الذى يعلمها . سأحكى لك ياسيدتى قصة رودلف هيس معى ... » .

وبعد أن حكى هتلر قصة هيس بإيجاز قالت مدام بروكمان ؛ آه ياأودلف لقد حاول صديقك أن يحقق رغبتك بكل بطولة وإنكار للذات .. كيف يسا إلى سمعته ؟ وكيف تعاقب زوجته وسكرتيره ؟ .. لقد صدر حكم بالإعدام على سكرتير هيس فيما أذكر !

قال هتلر : أوقفت تنفيذ حكم الإعدام على مساعد هيس كان لابد من الحفاظ على هيبة ألمانيا ، ولكننى أحاول تفادى التنكيل بأتباع هيس . وعلى

الرغم من صدور أمر رسمى أن تخلى زوجة هيس منزله أتبعت هذا الأمر بأمر آخر يلغيه ، لتبدو المسألة مجرد شفقة . ولقد زارتها زوجتى وحصلت منها على خطاب كان قد تركه هيس موجهاً إلىّ . إننى أحتفظ بهذاالخطاب فى مكان أمين وتدمع عينى عندما أقرأ سطوره . ياعزيزتى مدام بروكمان : إن قليلين فى العالم يعرفون هذه الحقيقة . وأنا أأتمنك عليها كعادتى لثقتى أنك تعرفين كيف تكتمين أسرارى !

وعندما قرأت زوجة هيس خطابه الذى كان قد تركه فى الدبابة الصغيرة قبل رحيله ، عرفت حقيقة رحلة زوجها إلى انجلترا ، ولم يعرف الشعور بالعار طريقاً إلى قلبها .

أما هيس نفسه ، فإن الإنجليز كانوا قد نقلوه يوم ٢١ يونيو ١٩٤٢ إلى سجن بجنوب ويلز هو سجن ''منديف كورت'' بعد أن هدأت الضجة حوله ، فعرف هيس أن مهمته قد فشلت تماماً .

هيس أمام محكمة نورمبرج

انتهت الحرب العالمية الثانية بهزيمة ألمانيا ودول المحور ، وانتصر الحلفاء .

ويوم ٩ أكتوبر ١٩٤٥ طرق قائد سجن ''منديف كورت'' باب حجرة هيس ، ودخل ليقول له :

ـــ هر هيس ، ستعود غداً إلى ألمانيا !

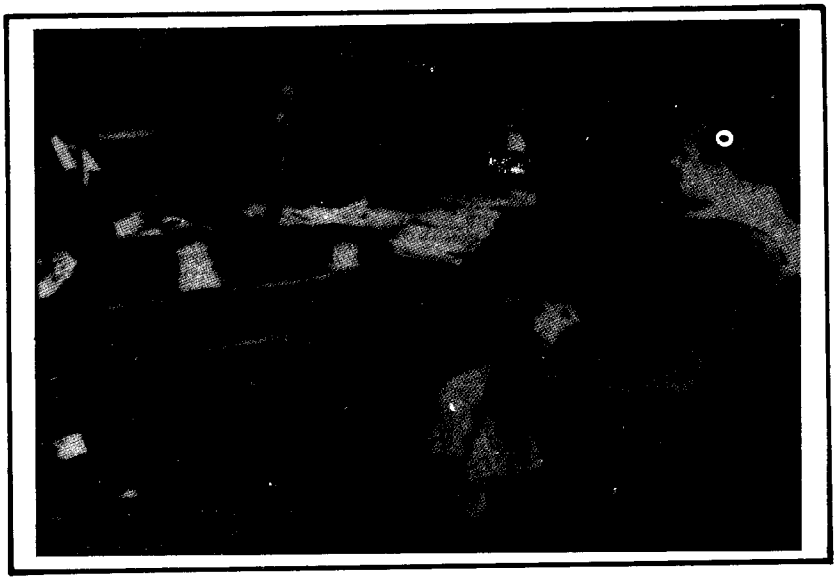

هيس أثناء اجتماع الكولونيل الأمريكى « جون آمين » به قبل محاكمات نورمبرج .

ويوم ١٠ أكتوبر ١٩٤٥ كان رودلف هيس يصعد سلم طائرة أقلعت به إلى ألمانيا . لقد علم هيس أنه فى طريقه للمثول أمام محكمة فى نورمبرج ، ولكن هيس كان واثقاً أنه سيحصل على حريته عندما تبرىء المحكمة ساحته .

إنه كان فى أسر الإنجليز معظم مدة الحرب العالمية الثانية ، ولقد بذل محاولة لتحقيق السلام ، وأذاعت ألمانيا وكتب أطباء السجن فى بريطانيا أنه كان مريضاً عقلياً ، ولو صح ذلك كله ، يكون المكان الطبيعى لرودلف هيس هو مصحة لعلاجه ! وكان هيس يأمل فى علاج وشفاء ثم حرية ..

كانت « حالة هيس » من أكثر الحالات إشكالية أمام محكمة نورمبرج . إن ظروفه مختلفة عن ظروف جميع المهتمين الذين تولت هذه المحكمة محاكمتهم .

لقطة تظهر زعماء النازى أثناء محاكمات نورمبرج

وطلبت المحكمة إجراء فحص لحالة هيس العقلية قبل مثوله أمام المحكمة . ولو أجاز التقرير الطبى مثوله أمام المحكمة ، وقررت المحكمة أنه مذنب ، يلزم فحص حالته العقلية من جديد بغرض أن يتعرف الأطباء على كيفية تفكير النازيين .

وظل هيس تحت الفحص الطبى منذ يوم ٧ نوفمبر ١٩٤٥ حتى يوم بدء المحاكمة فى ٢٠ نوفمبر ١٩٤٥ .

ويوم ٢٠ نوفمبر مثل هيس أمام محكمة نورمبرج ضمن عشرين متهماً آخرين من زعماء النازى وقادته .

وكانت التهم الموجهة إلى هيس ورفاقه هى :

١] التآمر أو الاشتراك بصفتهم قادة أو تابعين لقيادة غيرهم فى ارتكاب جرائم ضد السلام ، وذلك بالتخطيط والإعداد للحرب ثم إشعالها والاستمرار فيها .

[٢] ارتكاب جرائم الحرب بما فيها جرائم القتل والإرغام على أعمال السخرة وقتل الأسرى والرهائن .

أثناء محكمة نورمبرج لقادة النازى حيث يظهر هيس وقد التزم الصمت بجوار زميله جورنج الرجل الثانى فى الرايخ .

[٣] ارتكاب جرائم ضد الإنسانية جمعاء مثل القتل الجماعى والإبادة على أساس الاضطهاد العنصرى والسياسى والدينى .

ولقد اصنطع هيس سياسة اللامبالاة طوال مدة مثوله أمام المحكمة ، وكان ينهمك فى مطالعة رواية بوليسية أثناء المحاكمة ، كما كان يرفض أن يضع على رأسه سماعات الترجمة الفورية كما كان يفعل كل زملائه .

وذات مرة لكزه جورنج وهو يقول له : ألم تسمع ما يقال ؟ فقال هيس له : أنا لا أعترف أصلاً بشرعية المحكمة ! ولا تنزعج ياجورنج . سيكون الحكم هو الإعدام لجميع قادة النازى .

وانتدبت المحكمة الدكتور ''فون روهر شيدت'' للدفاع عن هيس : وكان الدكتور شيدت قد بنى دفاعه على أساس أن موكله هيس مريض عقلياً كما تدل على ذلك شواهد كثيرة منها .... ومنها ...

وفاجأ هيس المحكمة بإعلانه أنه ذاكرته قد عادت له من جديد ...

هيس أثناء تجواله بفناء سجن « سبانداو »

ويستطيع القارىء الكريم أن يلتمس وقائع محاكمات نورمبرج فى كثير من المراجع التى تناولتها بالدراسة ولكن لا يفوتنا أن نذكر أن آخر كلمة قالها هيس أمام محكمة نورمبرج هى قوله : ''هايل هتلر'' .

وانتهت محاكمات نورمبرج يوم أول أكتوبر ١٩٤٦ . وكانت قد حكمت على رودلف هيس بالسجن مدى الحياة .

ويوم ١٨ يوليو ١٩٤٧ تم نقل هيس مع رفاقه من المحكوم عليهم بالسجن إلى سجن سبانداو ، وكان هيس هو السجين رقم ٧ ، وظل وحده فى سجن سبانداو يحرسه جنود من الدول الأربع الكبرى حتى توفى هيس بالسجن عن عمر يناهز ثلاثة وتسعين عاماً ، ليكون أغلى سجين فى العالم بأسره .

هيس فى الميزان

لعل السؤال الأكثر حسماً فيما يتعلق بتقويم مأساة رودلف هيس هو : ''هل كان الفوهرر ، أدولف هتلر ، يعلم كل شيء ، أم أنه كان لا يعلم أى شيء عن رحلة نائبه « **رودلف هيس** » من ألمانيا إلى إنجلترا ، يوم ١٠ مايو ١٩٤١ ، لكى يعرض السلام على بريطانيا بشروط ألمانيا ؟ هل كان الفوهرر أدولف هتلر يعلم كل شيء عن هذه الرحلة إعداداً وتنفيذاً ، أم أنه لم يكن يعلم أى شيء ؟

وعندما باءت هذه الرحلة البائسة بالفشل التام تبرأ منها الفوهرر أدولف هتلر ، وتظاهر بأنه لم يكن يعرف عنها أى شيء من حيث الإعداد لها ، أو من حيث تنفيذها . وأعلن هتلر أن نائبه هيس كان مصاباً بمرض عقلى . وأصدر الفوهرر أوامر بالقبض على مساعد هيس ومحاكمته كما لو كانت رحلة هيس عملاً إجرامياً و أن مساعد هيس يحتفظ بمعلومات عنه وحجبها عن دولته ، ألمانيا . وصدر الحكم فعلاً بإعدام مساعد هيس ، ولكن هتلر رفض التصديق على الحكم متظاهراً بالشفقة والرحمة !

ولقد كان رودلف هيس يحرص كل الحرص على عدم الاعتراف بأى مسئولية للفوهرر أدولف هتلر عن رحلته ، ونَفَى على كافة المستويات الاعتراف بأن الزعيم النازى كان يعرف أى شيء عن هذه الرحلة .

وتشير الدلائل كلها على تمام معرفة الفوهرر أدولف هتلر كل شى عن رحلة هيس نائبه من الألف إلى الياء .

يستحيل أن تدور مثل هذه الفكرة الضخمة بذهن هيس نائب الفوهرر دون أن يستطلع بشأنها رَأْىَ رئيسه وزعيمه وقائده ، خصوصاً أن الفكرة ، الرحلة لعقد صلح مع بريطانيا ، فكرة تتصل بالدولة ، وتتصل بالسياسة الخارجية للدولة .

ولقد تضمنت المذكرات المنسوبة إلى رودلف هيس إشارات واضحة مؤكدة لحدوث مناقشات بشأن رحلة هيس إلى بريطانيا بين هتلر وهيس والبروفيسور كارل هوشوفير ، ولقد سبق أن أوضحنا لمحات توضح العلاقة بين ثلاثتهم ، وهذا التصور هو الأقرب إلى المعقول فيما يتعلق بفكرة بهذه الضخامة .

وعندما أوفد رئيس وزراء بريطانيا ونستون تشرشل السير « جون سيمون » ، وزير الدولة البريطانى ، وقد عُرِفَتْ عنه الحنكة السياسية الرفيعة المستوى ، لمقابلة هيس لاستجلاء شأن معرفة هتلر برحلة هيس أو عدم معرفة الفوهرر بهذه الرحلة ، قال هيس : إننى أتحدث عن السلام وعن الصلح بين ألمانيا وبريطانيا . ماذا لو استقال تشرشل من أجل إنقاذ بلده بريطانيا مادام الفوهرر يصر على هذا المطلب ؟

وهنا سأله الوزير البريطانى المحنك « سيرجون سيمون » قائلاً :

ـــ هل تضمن ـــ ياهيس ـــ أن لو استقال تشرشل فسيوافق هتلر على إنهاء الحرب فوراً مع بريطانيا .

قال هيس : بالتأكيد أنا أضمن أنه لو استقال تشرشل فسيوافق هتلر على إنهاء الحرب فوراً مع بريطانيا .

قال الوزير البريطانى : هل أنت متأكد من هذا ؟

قال هيس : كل التأكيد !

قال الوزير البريطانى : أنت جئت إلى بريطانيا إذن بعلم هتلر وبتدبيره !

قال هيس : أبداً ، لم يحدث أن علم هتلر برحلتى هذه . لقد فوجيء هتلر برحلتى .

كان مطلب هيس باستقالة رئيس وزراء بريطانيا ، ونستون تشرشل، مطلباً ضخماً غريباً ، ويستحيل أن يطلبه هيس دون رغبة هتلر فيه . كما أن الربط بين تأكد هيس من موافقة هتلر على الصلح مع بريطانيا لو ضحت بريطانيا برئيس وزرائها وكلفت زعيماً بريطانياً آخر بتشكيل الوزارة البريطانية ، هذا

التأكد ليس له أى مبرر لو لم يكن هتلر قد ''أفضى'' به إلى نائبه هيس ، تماماً كما لاحظ ذلك وزير الخزانة البريطانى السياسى الداهية ''سير جون سيمون'' .

رحلة تستخدم فيها طائرة من أحدث طائرات سلاح الجو الألمانى ، وتعد الطائرة إعداداً خاصاً ، ويتم تزويدها بخزان وقود إضافى ويتدرب هيس على الطيران أياماً متوالية عديدة ، مع وجود حظر على قيام قادة الرايخ الألمانى بقيادة أى طائرة أو مجرد ركوبها دون إذن كتابى من هتلر شخصياً ، كل ذلك يتم دون علم ومعرفة هتلر ، هذا محال تماماً ، والأقرب إلى الصواب أن هتلر كان يعلم كل شىء عن الرحلة .

وتتسق الرحلة مع الأفكار المسبقة لهتلر من حيث إيمانه بضرورة ألا تحارب ألمانيا فى جبهتين . لو أن رحلة هيس نجحت لتحقق لهتلر هذا الهدف .

والجوستابو ، البوليس السرى الهتلرى ، هل يتصور أحد أن تفلت منه المعلومات فيما يتعلق بشأن الاستعداد لهذه الرحلة ، وبشأن القيام بها فعلاً ؟

تدل الدلائل لكها على معرفة الفوهرر ، أدولف هتلر ، بمراحل الإعداد للرحلة ، وبالقيام بها .

ونصل إلى نقطة أخرى جديرة بالدراسة ألا وهى تقييم الرحلة ذاتها . يدل كل شىء يتعلق بهذه الرحلة على السذاجة السياسية الألمانية . ويمكن القول إن الألمان بارعون فى ميادين الحرب ، ولكن براعتهم أقل فى ميادين السياسة مما أفقد ألمانيا ثمار النصر فى كثير من المعارك الكبرى ، بل إن ''السذاجة السياسية naiveté politique تعد أهم أسباب خسارة ألمانيا للحرب العالمية الأولى ثم الحرب العالمية الثانية .

ونضرب صفحاً عن إغفال ساسة ألمانيا لأهمية وخطورة انضمام أمريكا إلى بريطانيا وحلفائها فى الحرب العالمية الأولى ، وفى الحرب العالمية الثانية ، ونضرب صفحاً عن إخفاق السياسة الألمانية فى تقدير قوى الحلفاء والخصوم على المستوى اللوجستيكى للحرب وهو المستوى الذى تنبع منه كل مقومات الحرب

ولوازمها ، ونكتفى بتقييم رحلة هيس من الناحية السياسية لتتضح السذاجة السياسية التى حفلت بها أحداث هذه الرحلة .

كان كل شيء فى هذه الرحلة البائسة يتعارض مع حقائق ''علم التفاوض السياسى'' .

إن أبسط حقائق علم التفاوض السياسى تقتضى تقدير الفشل مع تقدير النجاح بشأن مثل هذه الرحلة . ولقد عميت الدبلوماسية الألمانية أن تبحث إمكانية فشل المفاوضات مع بريطانيا بناء على هذه الرحلة !

وعميت الدبلوماسية الألمانية عن محاولة تأمين عودة المبعوث الألمانى رودلف هيس سالماً من رحلته إلى بلاده مرة أخرى .

ما أكثر المبعوثين الدبلوماسيين ، وما أكثر البعثات الدبلوماسية على مدار التاريخ ! حقاً ، لقد تعرض بعض المبعوثين الدبلوماسيين فى فجر التاريخ للهلاك من جراء الرسائل والمهام التى كانو مكلفين بإنجازها ، ولكن دبلوماسية العصر الحديث أصبحت تهتم كل الاهتمام بتوفير السلامة للمبعوثين الدبلوماسيين كى يعودوا من رحلاتهم الدبلوماسية بالسلامة دون أن يتعرضوا للأذى .

حقاً . لم يقتل الإنجليز هيس ! .. ولكن حبسه كان أكثر قسوة بالنسبة له .

النائب الثانى للزعيم الألمانى هتلر ، يجد نفسه محبوساً فى أحد سجون بريطانيا ! لقد قال هيس بنفسه أمام محكمة نورمبرج معللاك فقدانه أحياناً للذاكرة ، قال إننى لم أفقد ذاكرتى حقاً .. ولكننى « فقدت أهميتى » .

ومن المدهش حقاً ، ومن السذاجة السياسية الفادحة فعلاً ، أن يطلب هيس من بريطانيا ، وهو فى ضيافة بريطانيا ، فوق أرض بريطانيا ، ويطلب تنحية رئيس وزراء بريطانيا ، ونستون تشرشل عن رئاسة الوزراء البريطانية لكى يوقع رئيس وزراء بريطانى آخر مع هتلر على بنود معاهدة الصلح بين بريطانيا وألمانيا . ويتقدم هيس بهذا المطلب إلى ونستون تشرشل نفسه طالباً موافقته على هذا المطلب الشكلى الغريب والسخيف . وماذا كان يضير ألمانيا ، وماذا كان يضير هتلر ، لو شارك تشرشل فى التوقيع على شروط الصلح بين بريطانيا وألمانيا .

ولم تكن رحلة هيس التعيسة من أجل السلام خالصة الاتجاه نحو ''السلام'' لأن هيس نفسه أثناء عرض وجهة نظره فى طلب السلام والصلح مع البريطان قد برر هذا المطلب بأنه يتيح الفرصة لألمانيا كى تهاجم روسيا ويزيد من فُرَص انتصار الألمان على الروس !

وكانت العنصرية التعصب لتفوُّق الجنس الآرى أيضاً من أهم المبررات التى ذكرها هيس تبريراً لطلب الصلح مع بريطانيا ، إذ ادعى هيس أن الألمان والبريطان ينحدران من جنس واحد هو الجنس الآرى ، أرقى الأجناس البشرية من وجهة نظره العنصرية ، ولا ينبغى أن يحارب الجنس الآرى نفسه ، عندما يقاتل بعضه بَعْضًا .

ويتضح من هذا وذاك وكله مدى تأثر أفكار وسلوك نائب الفوهرر رودلف هيس بآراء أستاذه البروفيسور كارل هوشوفير أستاذ الفلسفة والجغرافيا السياسية بجامعة ميونيخ الذى كان أستاذاً لرودلف هيس ، وكان صديقاً حميماً له وللفوهرر أدولف هتلر ، وكان يزورهما عندما حُكِمَ عليهما بالسجن قبل بزوغ نجم هتلر ووصوله إلى دار المستشارية الألمانية . وكان هتلر يقول عن البروفيسور كارل هوشوفير : « إنه قريبى الوحيد » !

ورحلة هيس البائسة ، شأنها شأن الحرب العالمية الأولى ، شأن الحرب العالمية الثانية إنما هى نتاج الحضارة الأوروبية المادية المتهافتة المتصارعة فيما يتعلق بحطام الدنيا دون وازع من قيم دينية أو أخلاقية مهما تشدقت الحضارة الأوروبية بوجود مثل هذه القيم فى نسيجها .

لا نبالغ عندما نقول : إن الحضارة الأوروبية تحمل بين جنبات تقدمها المادى أسباب دمارها ما لم تفتح شعوب أوروبا نوافذها وأبوابها للقيم الروحية والدينية المستمدة من الدين الصحيح لتستقيم للناس أمور الحياة فى يُسْر دون عُسْر ، وليتم التكامل Integration بين المادة والروح حتى لا تتكرر مآسى بحجم الحرب العالمية الأولى أو الحرب العالمية الثانية أو مآسى من نوع مأساة رحلة « **رودلف هيس** » بين الألمان والإنجليز والروس .

لماذا رفض الإنجليز عرض هيس ؟

لقد كان عرض هيس الصلح بين ألمانيا و بريطانيا عرضاً مغرياً . كانت ألمانيا آنذاك (١٠ مايو ١٩٤١) متفوقة فى معاركها فى العامين الأولين من الحرب العالمية الثانية . وكانت آلاف الطائرات الألمانية تدك المدن البريطانية فى غارات يومية متكررة مدمرة . وكانت القوات المسلحة الألمانية تحتل بالفعل معظم دول أوروبا من بحر الشمال حتى البحر المتوسط وكان العرض الأساسى الذى عرضه رودلف هيس على الإنجليز إنما هو تحصيل وتأصيل الحاصل فى الواقع الفعلى آنذاك وكان جوهر عرض هيس يتمثل فى أن تطلق بريطانيا يد ألمانيا فى أوروبا ، وتترك ألمانيا لبريطانيا كل مستعمراتها فيما وراء البحار . ورفضت بريطانيا عرض الصلح الألمانى لأسباب هامة منها عدم ثقة الإنجليز بصدق وعود هتلر ، وقد سبق أن حنث هتلر فى وعوده التى كان قد قطعها على نفسه أمام تشمبرلين رئيس وزراء بريطانيا السابق لتشرشل . سألت بريطانيا : ما الذى يضمن ألا ينازعنا هتلر بعد أن يستتب له أمر السيطرة على دول أوروبا فى ملكيتنا لمستعمراتنا وراء البحار ؟! إن هتلر الذى مزق كل شروط معاهدة فرساى لن يتورع عن تمزيق أى معاهدة جديدة !! أزمة أخلاق ومبادىء وقيم !

ولم تكن الانتصارات الألمانية هى كل وقائع ومشاهد وأحداث المسرح العالمى إبان العامين الأولين من أعوام الحرب العالمية الثانية . كان اليهود يتحركون على نطاق عالمى وراء هذه الأحداث للتأثير على مجرياتها . ولا ريب آن اليهود الذين ناصبهم هتلر ونائبه هيس العداء منذ بدء قيام النازية فى ألمانيا كانوا يعملون بجد على هزيمة ألمانيا فى الحرب العالمية الثانية مثلما تسببوا فى هزيمتها فى الحرب العالمية الأولى كما كان مستقراً فى ذهن هتلر وهيس وغيرهما من الألمان . وليس ببعيد أن يكون اليهود قد التفوا حول تشرشل وحذروه من قبول عرض رودلف هيس للصلح بين ألمانيا وبريطانيا ، وبشروه بقرب انضمام أمريكا للحلفاء ضد ألمانيا .

ولم يكن هتلر وحده هو الذى فطن إلى نظرية المجال الحيوى والمصالح الحيوية للدولة . ولقد تصادم المجال الحيوى للألمان مع المجال الحيوى لليهود مع المجال الحيوى للإنجليز وكذا المجال الحيوى للروس ، وازدادت الحرب العالمية

اشتعالاً ، وفشلت رحلة هيس ، وتجمعت أسباب مأساته بين الألمان والإنجليز والروس . ولم يغب عن ذهن اليهود إطلاقاً أن هتلر كان ينادى بسيادة الجنس الآرى بينما كان اليهود ينادون بسيادة الجنس السامى الذى ينتمى إليه بنو إسرائيل .. ولم ينس الروس أن رودلف هيس كان يرغب فى عقد صلح مع بريطانيا لتتفرغ ألمانيا لمهاجمة روسيا بكل قواها وبكل قواتها حيث كانت روسيا تشكل خطراً على النازية من خلال مبادىء الشيوعية يفوق أى خطر كانت ألمانيا معرضة له قبل وأثناء الحرب العالمية الثانية . وكان الصراع بين الحزب النازى قبل وصول هتلر إلى السلطة وبين الحزب الشيوعى صراعاً ضارياً فتح عين هتلر على جسامة الخطر الشيوعى على حدود ألمانيا الشرقية . ولذلك رفض الروس الإفراج عن « **رودلف هيس** » بعد أن وضعت الحرب العالمية أوزارها ، لتصل مأساة هيس بين الألمان والإنجليز والروس إلى خاتمتها البالغة الأسى إذ مات « **رودلف هيس** » فى سجنه بألمانيا تحت حراسة الإنجليز والفرنسيين والروس .

تم بحمد الله